حكاية تائه وجد النور

كَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ المُدُنَ كُلَّهَا وَ القُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ المَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ. رَأَى الجُمُوعَ تَحَنَّ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا""

(إنجيل متى الاصحاح 9 أعداد 35-36)

فتح عينيه ونظر الى الساعة التي تشير الى موعد نهوضه. قال لنفسه الحزينة: يَوْمٌ جديدٌ، عليَّ أن اواجه كي أعيش."فتح النافذة وبدأ يومه بشعورٍ مر. لم تكن المرارة في فمه من فنجان القهوة الذي يحتسيه كل صباح، بل من مرارة الألم والهوان اللذين في قلبه. كان يصارع الكآبة في الساعات الأولى من كل يوم والتي تبدأ مع شروق الشمس لتستمر معه طول ساعات النهار وحتى إنقضاء اليوم.

ماذا عليه أن يفعل؟ طريقٌ طويلٌ عليه أن يقطعه! والكثير من الأشياء عليه أن ينجزها!فكَّر فيما لديه من علم ومعرفة: "ما لدي لا يكفي، علي أن أدرس أكثر، وأن أجتاز امتحانات أكثر. يجب أن أحصل على شهادات أعلى تكون لي حصنا في هذه الحياة.أواجه بها الأخطار وتكون لي سلّم لأصعد، أرتقي وأرتفع."

كان يفتش عن الضوء في آخر الممر! يبحث عن الشهرة ويعمل طوال ساعات النهار لكي يبني مستقبله ويطوّر إختصاصه. بالرغم من كل نجاحاته في عمله وتخصصه، لم يجد راحةً في حياته. كانت أسئلته: "ماهو استحقاقي؟ كيف أغتني؟ ما عليَّ أن أمتلك؟ هذه الأسئلة دفعته ليتسابق مع الزمن ومع الناس ومع العالم من حوله. كان يفكّر بأن المال والمادة سوف تغيّران حالته: "لو كان عندي رصيدٍ مالي لحُلت مشاكلي، لي القليل. المال هو الجواب! أستطيع أن أرتب حياتي به وأشتري كل شيء." حصل على المال!ولكان بقيَ الاحباط نصيبه، وبقيت ذاته في عذاب.

التجأ الى قراءة كتب الفلاسفة و بالسحرة استعان. زار قارئي الكف، وقرأ الأبراج والفنجان. كان يحترم أيام ومناسبات معينة، ويتشاءم من أوقات وأيام خاصة. لكن كل هذا لم يشفِ نفسه، بل على العكس؛ بدايته كانت المشورة الخاطئة ومسيره الطرق الخطرة ونهايته الألم والمعاناة...

جرّبَ ملذات العالم: "رقص، مرح وضحك! عيش أيامك وعيش لياليك، خلي شبابك يفرح بيك!" المسكر وكأس الخمر كانا صديقيه. بحث عن بنات الليل ليصرف عليهم من جيبه! ضيّع من صحّته وقوّته! سادت الخطيئة على حياته: طمع، غيرة وحسد، كبرياء وعدم غفران. في فكره قائمة سوداء من الأعداء يرتبهم حسب الأولوية لغرض الأنتقام.

عند المساء كان ينتظره الأرق. بجانب سريره أقراص أدوية وعقاقير لمعالجة الأرق والصداع.كان في ألمٍ مستمر: ألم معدة وظهر، وتشنجات وآلام مفاصل وعظام. تناول الكثيرمن الأدوية بدون فائدة. إستمرَّ في الألم والأنين: "إلى أين أذهب؟ أين أجد الراحة؟ لمن أستطيع أن أفتح قلبي وأسكب شكواي؟ من الذي يشفي قلبي المكسور؟ من يمسح دمع عيني؟ من يشفي جروحي؟ ذنوبي من يغفرها وعاري من يحمله؟ ما الفائدة من كل تعبي تحت الشمس؟ ما هو هدفي من هذه الحياة؟ ما هي نهايتي-هل سوف أُرمى تحت الرمل؟ ماذا بعد هذه الحياة؟ ومن الذي ينجني من الموت الأكيد وعذاب ما بعد القبر؟

بصراحة كان هذا الرجل بعيد عن الله، بلا قوة وبلا عون. كان بعيد عن المحبة، الرأفة، العطف والحنان. كان واقفاً مع جميع الناس يصرخ ويصيح: "من أتبع؟ لقد جرّبت الكثيرين! من هو سيدي ووليّ أمري؟ أين النور؟ أنا في ظلام أريد أن أسلك في الطريق الصحيح! أين أجد راحتي؟ من هو منقذي من الموت الذي لا رجاء ولا أمل بعده

ولكن الله لن يترك معذباً من يسأل عن الحقيقة بصدق. ففي تلك اللحظات من الألم والحزن والأسى؛ في تلك اللحظات من الضياع، والخوف من الموت والهاوية، لهبقَ لهذا الرجل غير طريقٍ واحدٍ لم يكن قد جربه بعد. فقد استنفذ جميع الطرق الأخرى في الحياة. لم يكن قد طرق على باب الرب يسوع المسيح بعد. لن يكن يؤمن به ولا بوجوده. في ذلك الوقت من الحياة، كان قد تقرّب من مجموعة من الناس يُدعَون "كنيسة". رأى فيهم المحبة، الصدق، والأمانة؛ وانجذب اليهم فيما رأى في حياتهم من فرحٍ وهناءٍ وسط كل ظروفهم الصعبة. تساءل في نفسه: "لماذا أنا حزين وهؤلاء في فرح وبهجة؟!" لم يكن الفرق بينه وبينهم إلا ايمانهم بالرب يسوع! فقال في نفسه لماذا لا أجرّب هذا الباب؟!" وبكثير من الصبر –أخيراً - أرشدوه إلى الطريق الصحيح. عيناه بدأتا ترى النور بعد أن سمع ما قاله الرب يسوع: 🕮 **"أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ "** *(إنجيل يوحنا الاصحاح 8 عدد 12)*أخيراً تلاقى هذا الإنسان مع الرب يسوع، بعد أن فتح له قلبه ودعاه إلى حياته، فنزلت دموع الفرح من عينيه اذ سمع المخلص يعلن: 🕮 **"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَ الثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ "** *(إنجيل متى الإصحاح 11 عدد 28)*

رأى النور وإتضحت الحقيقة وتحرّر هذا الرجل من الخوف من الموت وعدم الأستقرار، تماماً كما هو مدوَّن في الإنجيل: **"فَقَالَ يَسُوعُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ "** *(إنجيل يوحنا الإصحاح 8 أعداد 31-32)* فعرف أن كل طرقه القديمة كانت غير صحيحة وانجذب لمحبة الرب له، وأصبح الله محور حياته وفكره، وأصبح المسيح كل أفكاره وأحاسيسه. فتبدّلت حياته من حب الذات إلى حب الله؛ من خدمة الذات إلى خدمة الله والناس؛ من الجري وراء العالم إلى السير وراء الرب يسوع. نما إيمانه وبدأ بالتدريج يعمل مشيئة الرب. سمح للرب أن يغيّر سلوكه وتصرّفاته ويبدّل طبيعته القديمة ونظرته السوداويّة المدمِّرة، إلى نظرة متفائلة ملآنة بالفرح والأمل. فذهب الإحساس بالفشل وأتى الإحساس بالنصرة. وعندما أصبحت ظروف حياته صعبة، كانت في مثابة فرص للإلتجاء إلى الرب والنمو فيه. **"لِذَلِكَ لاَ أَسْتَحْسِنُ شَيْئاً تَعْمَلُ مَعَ لِدْخَيْرِ لِئَلاَّ يُحِبُّونَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ "** *(رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الإصحاح 8 عدد 28)*

وهكذا زاده السيّد المسيح صبراً، تواضعاً، تعفّفاً وطول آناة. وظهرت ثمار الروح القدس في حياته. فإنه **"لِذَلِكَ إِنِّي لَمْ أَسْتَرِحْ بِعَقْلِي لأَجْلِ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟"** *(رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الإصحاح 8 عدد 32)* لقد أصبح الآن متأكّداً من خلاصه من الموت، ومن نيله الغفران لخطاياه. عرف وإختبر أنه إبناً لله وأنه وارثاً مع يسوع الحياة الأبدية. **"إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ للهِ "** *(رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية الإصحاح 4 عدد 7)*

معرفته لحلاوة الرب، محبته ولطفه، جعلته يريد أن يخبر جميع الناس عنه وعن الحياة الأبدية التي بإستطاعتهم أن يحصلوا عليها به. يريد أن يخبّر الناس كم أن السيد المسيح أمين، صادق وعظيم وكم هو قادر أن يغني حياتهم بالنعم الكثيرة ويغيّرها إلى الأحسن. وهكذا أصبحت صلاته ترنيمة شكر:

أشكرك يا أبي السماوي من أعماق قلبي لأنك فتحت عينيَّ لأرى نورك. أشكرك يا رب لأني أعرف أنه لا حياة أو أمل وغفران لخطاياي إلا بموت إبنك على الصليب. سأظل أشكرك وأمجّدك إلى الأبد وأقول مع بولس الرسول: **"شُكْراً للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ "** *(رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس الإصحاح 2 عدد 14)*

آمين

يسوع المسيح

خبز الحياة

37

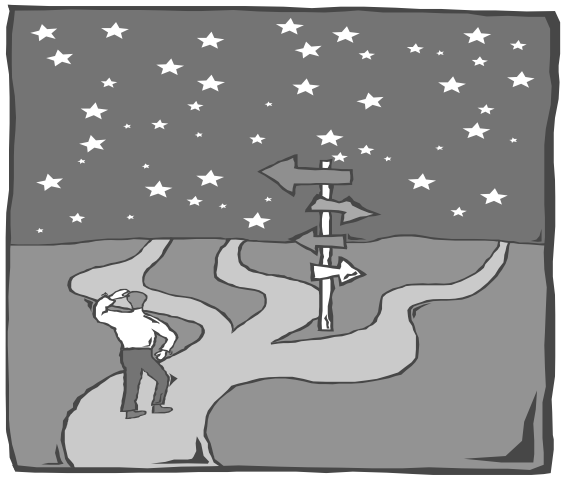

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.
لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي "
(إنجيل يوحنا الاصحاح 14، عدد 6)

شارك هذه الرسالة مع صديق